

الملخص:

مقدمة:

يعتبر الاندماج الاجتماعي ركيزة أساسية لشعور الفرد بالانتماء. هذا الانتماء الذي يبلور المواطنة بمفاهيمها كافة. وفي الخوض بالحديث عن التعليم، فلا شك أنه داعم أساسي لاندماج الفرد في المجتمع وتحقيق ذاته فيه وصقل مهاراته مما يكتسبه من العلوم والمعارف، فضلا عن التواصل والتفاعل مع الآخر.

وفي ظل التغيرات العالمية المتمثلة بالحالة الوبائية -جائحة الحمّة التاجية- التي فرضت قيودًا قاسية على البشرية، فمنعت الاندماج والاجتماع والتفاعل، حتى طالت التعليم، فتبلورت فكرة التعليم عن بعد كخطوة احترازية ضمنت استمرار التعليم لكنها حالت دون لقاء الانسان فيزيائيا بالانسان الآخر. وهذا مما زاد من التباعد مؤثرا بشكل كبير على التفاعل والاندماج وتالياً على المواطنة والهوية والانتماء.

مشكلة البحث:

يطرح البحث الإشكالية التالية:

كيف يؤثر التعليم عن بعد على تحقيق المواطنة الشاملة والانتماء؟ وكيف يمكن استثمار التعليم عن بعد في سبيل تعزيز المواطنة والانتماء؟

فرضيات البحث:

وعليه، فتتعدد الفرضيات إلى أن الباحث يعتقد بأنّ التعليم عن بعد أثر سلبا في الاندماج الاجتماعي وبالتالي المواطنة. كما نعتقد بأنه يمكننا استثمار التعليم عن بعد بهدف تعزيز المواطنة والانتماء بين الطلاب من خلال تفعيل دور الطرائق التعليمية التفاعلية.

أهمية البحث وأهدافه:

تتجلى أهمية البحث في أنه يسלט الضوء على حاجة تربوية ملحة تعدّ جسر عبور للمواطنة الفعالة وتعزز الانتماء والهوية الوطنية. كما أنه يعتبر قيمة مضافة للدراسات المكثفة حول العملية التعليمية التعلمية التي تأثرت بالظروف العالمية والمستجدات التربوية.

أما عن أهداف البحث فتمثل بأنّ البحث يفسر علاقة التعليم بتحقيق المواطنة، كما أنه يبيّن تأثير التعليم عن بعد فيها في ظل الظروف الراهنة واستثمارها وتقويمها بما يخدم المواطنة.

منهج البحث:

إنّ المنهج المناسب للبحث هو المنهج الوصفي التحليلي، إذ يشكل الطريق المناسب لتحليل الوقائع التي تشكل مؤثراً مباشراً على الهوية الفردية والمواطنة. فيسعى البحث إلى تحليل المعطيات وترجمتها للوصول إلى النتائج المرجوة. و"هو أحد مناهج البحث العلمي، والقائم على تحليل عنوان الدراسة، ومضمونها، وتفسير واستنتاج الدلالات المرادة، وتفهم أصولها، واستخلاص النتائج". (سعد، 2020)

محتوى البحث:

ينقسم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول بعنوان "التعليم عن بعد والمواطنة" والذي يستعرض بشكل نظري مفاهيم المصطلحين والتعريف عن كل منهما.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان "تأثير التعليم عن بعد في المواطنة ودوره في تعزيزها" ويتحدث عن تأثير التعليم عن بعد في المواطنة واستعراض دور التعليم عن بعد والكيفية التي من خلالها تعزز المواطنة.

الحدود الزمانية والمكانية:

تتجلى الحدود المكانية للبحث ضمن الأراضي اللبنانية، أما الزمانية منها فهي مع مطلع العام 2020م الفترة التي انتشر فيها الوباء (كوفيد-19) في لبنان.

الكلمات المفتاحية:

التعليم من بعد- الاندماج الاجتماعي- المواطنة.

• Maybe we can invest in distance education in order to enhance citizenship and belonging among students by activating the role of interactive educational methods.

The importance and objectives of the research:

The importance of the research is that it sheds light on an urgent educational need that is a bridge to effective citizenship and enhances belonging and national identity. It is also considered an added value for intensive studies on the teaching-learning process that accompanied the emerging global conditions.

As for the objectives of the research, they are represented in that the research explains the relationship of education with the achievement of citizenship, and it also shows the impact of distance education in it under the current circumstances and its investment and evaluation to serve citizenship.

Method:

The appropriate method for research is the analytical method, as it constitutes the appropriate way to analyze the facts that have a direct impact on individual identity and citizenship. The research seeks to analyze and translate the data to reach the desired results. It is one of the scientific research methods, which is based on analyzing the title of the study, its content, interpreting and deducing the desired connotations, understanding its origins, and drawing conclusions. (Saad, 2020)

Temporal and spatial boundaries:

The spatial boundaries of the research are evident within the Lebanese territory, and the temporal ones are with the beginning of the year 2020 AD, the period during which the epidemic (Covid-19) spread in Lebanon.

Key words: Distance education – social integration – citizenship.

المبحث الأول: التعليم عن بعد والمواطنة:

يعتبر التعليم أساساً لبناء الوطن، فهو ركيزة أساسية لتحقيق المواطن الفاعل والمنتج والمساهم في رفعة وطنه من خلال مساهماته الاجتماعية والعلمية والعملية والثقافية وغيرها، وهذا التعليم لا بد أن يكون على أرقى مستوى للوصول إلى نتائج إيجابية تساهم في بناء هذا المواطن والسير به قُدماً للتكامل من أجل تعزيز المواطنة التي ينتج عنها بناء شامل للوطن. ولكن، يجب الأخذ بعين الاعتبار شكل التعليم الذي يُلجأ إليه اليوم والمتمثل بالتعليم عن بعد، على أنه قد يشكل تحدياً في مكان ما على تلك المواطنة، لذلك يتطرق هذا المبحث إلى توضيح المفاهيم لتحليل مواقع هذا التأثير.

1- مفهوم التعليم عن بعد:

ظهر مفهوم التعليم عن بعد أكثر وتبلورت مفاهيمه بشكل أكبر بعدما اضطر العالم إلى اعتماده في العام 2020، وذلك منعاً لانتشار الوباء وتذليلاً للعقبات المترتبة على ذلك، فضلاً عن استكمال العام الدراسي للطلاب بأقل خسائر ممكنة تتعلق بمستقبلهم ومناهجهم الدراسية والعام الأكاديمي بشكل أعم. وعليه، اتخذ التعليم عن بعد عدة تعريفات تتمثل بما هو أت:

التعليم عن بعد "هو نظام تعليمي يستهدف توصيل الخدمة التعليمية إلى المتعلم في مكان تواجهه بعيداً عن المعلم أو المؤسسة التعليمية، وفي الوقت الذي يناسبه وتقاس دلالة البعد في الحالة بمقاييس المسافة والزمن، بالإضافة إلى أسباب أخرى تتمثل في عدم القدرة على الالتحاق بالتعليم النظامي منها الأسباب الصحية أو الاقتصادية مثل العمل أثناء سنوات التعليم." (الأحمري، 2015، ص15)

كما أنه "في شكله النظري طريقة للتعليم يكون فيها المتعلم بعيداً عن المعلم في المكان والزمان أو كليهما معاً ولا يوجد اتصال شخصي بينهما، ولكن بدلاً من ذلك تستخدم وسائط متعددة لنقل التعليم وتوصيله إلى المتعلمين تعتمد على المواد المطبوعة والمسموعة والمرئية وغيرها من وسائط إلكترونية وتكنولوجية." (عامر، 2013، ص3)

"يعرّف رونتري التعليم عن بعد بأنه التعليم الذي يحدث عندما تكون هناك مسافة بين المتعلم والمعلم، ويتم عادة بمساعدة مواد تعليمية يتم إعدادها مسبقاً، ويكون المعلمين منفصلين عن معلمهم في الزمان والمكان أو كليهما" (عامر، 2013، ص5)

إذًا، ينهي التعليم من بعد اللقاء الفيزيائي بين الطلاب ومعلميهم، وبالتالي يساهم في تهميش مفهوم الاندماج والتفاعل الاجتماعي في مراحلهم الدراسية المختلفة.

2-تعريف المواطنة:

"المواطنة هي تمتع الشخص بحقوق وواجبات، وممارستها في بقعة جغرافية معينة، لها حدود محددة، تعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلى حكم القانون." (فوزي، 2007، ص7)

كما "تعرف المواطنة علميًا باعتبارها قيمةً من قيم السياسة (Politics) (ونحن ننظر إلى السياسة هنا على أنها مفهومٌ واسعٌ يرتبط بانخراط المواطنين بفاعلية، للتأثير في المجال العام للمجتمع) ذلك على أنها العلاقة بين المواطنين في مجتمع ما والدولة في رباط يجمعهما معًا، وتتسم هذه العلاقة بالمساواة في الحقوق والواجبات". (صموئيل؛ عياد، 2008، ص13)

لا شك أن المواطنة -كما سبق- تعبّر عن اندماج وتفاعل ضروري بين أبناء المجتمع الواحد، فالمواطنة تتمثل في "المشاركة في الحياة العامة. وعادة ما يشار إلى ذلك بـ "المواطنة الفعالة". (فوزي، 2007، ص11)

وقد "بدأ التربويون في العالم العربي يهتمون بـ "التربية المواطنة" أو "التربية على المواطنة" منذ بداية هذا القرن أو قبل ذلك بقليل. إذ ازداد عدد الدراسات والمتخصصين في هذا الحقل... (فريحة، 2017، ص17)

من هنا يمكننا القول أن المواطنة باتت أمرًا ضروريًا وملحًا لبناء مجتمع فاضل، مع الأخذ بالاعتبار إلى أهمية تفعيل وبلورة كل منطلقاتها ومفاهيمها وأسسها بغية تحقيق الهدف عينه، وذلك بدءًا بالمواطن كأول وحدة في تركيبة المجتمع، إذ بالمواطنة "يثق المواطن في قدراته، ويعيش منتميا لا منعزلا، مشاركا وليس متفرجا" (فوزي، 2007، ص60)

المبحث الثاني: تأثير التعليم عن بعد في المواطنة ودوره في تعزيزها:

بعد تعريف التعليم عن بعد والمواطنة لا بد من رصد تأثير هذا النوع من التعليم على المواطنة، كذلك رصد كيفية استثمار التعليم عن بعد باستراتيجيات تدريسه، في خدمة تلك المواطنة.

1- تأثير التعليم عن بعد على المواطنة:

بعد استعراض التعريفات لكل من التعليم عن بعد والمواطنة، تتكشف أمامنا أوجه العلاقة بينهما ومدى تأثير التعليم عن بعد على المواطنة. فلو أمعنا النظر في تعريف التعليم عن بعد لوجدنا أن هناك تباعدًا فيزيائياً ملموساً، قد ينشأ عنه اضطرابٌ في العلاقات بين الطلاب ومعلميهم وأترابهم ولو بنسب متفاوتة، وبصفتهم جزءاً من المجتمع، نجد أنّ هذا التباعد يؤثر سلباً على الاندماج والتفاعل الاجتماعي وبالتالي يتولد لدينا ضعف في التواصل الفعال -مهما بلغت نسبته- وما يترتب عليها من فن الاصغاء والاستماع ولغة الجسد لتحقيق هذا التفاعل.

فالتفاعل الهادف أو المنظم هو الذي يوجد الظاهرة الاجتماعية، ومن ثم كان محل اهتمام الباحثين وعلماء الاجتماع، لأن معرفة طبيعته، وعملياته واتجاهاته، ضروري لفهم أسس العلاقات الاجتماعية، وتحديد طبيعة الفعل الانساني" (محمد، 2012، ص 572)، كما "يقصد بالتفاعل الاجتماعي، ذلك التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد والجماعات من خلال عملية الاتصال. ويطلق بعض الدارسين على التفاعل بين البشر مصطلح التفاعل الرمزي لأن التفاعل الاجتماعي يستند إلى الاتصال". (محمد، 2012، ص 573)

وإذا تحقق التعليم عن بعد، ستتأثر العلاقات الاجتماعية سلباً بين الطلاب ومجتمعهم، إذ "نجد جزءاً كبيراً من التفاعل بين المعلم والمتعلم وبين المتعلمين أنفسهم والذي يمكن أن يتم داخل الحجرات الدراسية والتقليدية يمكن أن يتأثر نظراً للفصل المكاني والزمني بين المعلم والطلاب، كما أن اتجاهات الطلاب نحو جدوى عملية التفاعل يمكن أن يتأثر سلباً كذلك". (محمد، 2012، ص 577)

وهنا تأكيد على أهمية التفاعل والتواصل الفيزيائي المباشر لتحقيق الاندماج الذي يليه شعور بالانتماء ومعه المواطنة الفعالة، والذي يجب أن يبدأ مع الانسان منذ صغره إذ "يتخذ التفاعل والتواصل المباشران أهمية كبيرة فيها حيث تحدد للطفل مكانته وأدواره ونظام التوقعات الخاص بسلوكه" (سليم، 2001، ص 26). كما "يريد المجتمع من الطفل أن يصبح عضواً كامل الانتماء، يتمثل المعايير ويتبنى التوجهات الرسمية والضمنية، ويكون عضواً فاعلاً يعزز وحدة الجماعة الثقافية في ممارساته السلوكية وفي قيامه بأدواره ضمن المؤسسات". (سليم، 2001، ص 25)

وعليه، فالإنسان يجب أن يحتك احتكاكاً مباشراً مع أترابه في المجتمع، ليشكلوا مجتمعين وحدة قادرة على تعزيز ثقافة العمل التشاركي والتعاوني والتعاضدي. وهذا التفاعل يجب أن ينشأ منذ الطفولة من خلال تربية الفرد على ذلك، وفي مراحل تعليمه التي يجب أن تتسم بالتقارب والتواصل المباشر، وحين يكبر من خلال العمل والتأثير وبناء مجتمعه ووطنه. والتعليم عن بعد -مع ايجابياته- إلا أنه يحول دون ذلك التفاعل المطلوب وخاصة في مرحلة تأسيسه يشهدا الطالب في حياته، فنسبة ذلك التأثير السلبي من قبل التعليم عن بعد ولو كانت ضئيلة، إلا أنها لا شك تشكل تراكمًا يؤدي إلى تبعات تواصلية إجتماعية غير محبذة، ينشأ بعدها تدهور في الانتماء للمجتمع وتالياً المواطنة التي تتطلب هذا التفاعل.

2- استثمار التعليم عن بعد لتعزيز المواطنة:

بعد استعراض المفاهيم المتعلقة بالتعليم عن بعد والمواطنة ورصد العلاقة بينهما، والتي اتضحت على أنها سلبية إلى حد ما، لا بد من تحويل هذا التحدي إلى فرص، طالما أن التعليم عن بعد أصبح أمراً حتمياً وبديلاً جيداً لاستكمال العام الدراسي بشكل ناجح، مع الأخذ بالحسبان تعزيز المواطنة من خلال هذا النوع من التعليم. فبالرغم من التطور التكنولوجي في مجال الاتصالات، فإن مجرد توفير التكنولوجيا ليس كافياً، إذ لا بد من دراسة واستخدام استراتيجيات وأنشطة مهارات التفاعل الفعال بين المتعلم وبقية عناصر مجال التعلم لضمان استخدام فعال لهذه التكنولوجيا" (محمد، 2012، ص577)

تتعدد الاستراتيجيات والطرائق التعليمية التي يستطيع المعلم من خلالها أن ينشئ شيئاً من التفاعل ولو من بعد. فيعزز التواصل بين الطلاب ويفسح المجال أمام الاندماج وتعزيز الحس بالانتماء، إذا استخدم تلك الطرائق التعليمية بشكل مكثف، فيتطلب من "المعلم معرفة دقيقة بالمادة التعليمية وبكيفية عرضها، وقدرة كبيرة على تخمين استجابات المتعلمين الممكنة..." (الأحمري، 2015، ص176) كما يتوجب على الكادر التربوي رصد قدرة تلك الاستراتيجيات على بلورة مفهوم المواطنة. إذ يتوجب "الاحتفاظ بسجل يتعلق بملاحظات المعلم حول كل مقرر يقوم بتدريسه ويسجل فيه التعليقات والملاحظات المختلفة عن ذلك المقرر وعن أنشطة الطلبة فيه..." (الأحمري، 2015، ص60) فينشأ عن ذلك، عمل تقويمي مستمر وضروري. فللمعلم "الدور الرئيس المتمثل في كونه ميسراً للعملية التعليمية داخل الحجرة الدراسية وخارجها بالنسبة للتلاميذ ومشجعاً إياهم على التفاعل في أنشطة تعليمية متنوعة..." (الاحمري، 2015، ص59)

وعليه، فإن الاستثمار الحكيم لطرائق واستراتيجيات التعليم عن بعد لتعزيز التفاعل والاندماج والمواطنة، بتضافر جهود الكادر التدريسي في مراقبة سير العملية التعليمية، أمرٌ ممكنٌ ومتاح. كذلك فقد وضح الكيفية

التي يسير بها المعلم ألا وهي: تفعيل الاستراتيجيات التفاعلية خلال الحصص الدراسية، ومراقبة تبلور التفاعل الذي سيعزز بدوره الانتماء والمواطنة في عملية تسلسلية مترابطة.

نتائج البحث:

بعد تحديد المفاهيم وتحليلها ورصد التأثير في ما بينها، تتضح أمامنا نتائج البحث الآتية:

- 1-إن المواطنة تتأثر بشكل سلبي من التعليم عن بعد وذلك نظرا لتهميش الاندماج والتفاعل الاجتماعي والتواصل الفيزيائي المباشر بين الطلاب. وهذا من صلب تعريف المواطنة.
- 2-هناك فرص لتعزيز المواطنة من خلال التعليم عن بعد -بما أنه أمر حتمي الحصول نظراً للظروف الصحية العالمية- وتلك الفرص تتعلق بتفعيل واستثمار الطرائق التدريسية والاستراتيجيات المتعددة في التعليم عن بعد والتي تضمن تعزيز وبلورة التفاعل بين الطلاب والذي يشعروهم بالانتماء إلى الوطن.
- 3-العمل التربوي الذي هو جزء مهم في التكوين الاجتماعي الباني للوطن والمساهم في رفعة وازدهاره. فضلا عن تضافر جهود الكادر التدريسي التربوي في تقييم المرحلة التعليمية ورصد بلورة المواطنة من خلال تلك الطرائق التفاعلية.
- 4- عدم استغلال الطرائق التفاعلية في التعليم عن بعد سيعمق من التأثير السلبي على المواطنة، ولكن إذا تم استثمارها بالكيفية الصحيحة المتمثلة بعملية المعلم التقويمية، يكون للتعليم عن بعد دور مهم وبارز وإيجابي في تفعيل الاندماج الاجتماعي والانتماء والمواطنة.

الخاتمة

بعد أن تجلت تلك المعطيات المتعلقة بالمؤثرات السلبية على المواطنة، نجد أن هناك حاجة ملحة للعمل من أجل تثبيت أركانها، لضمان استمراريتها واستدامتها، بدءًا بالتعليم وحيثياته، وصولاً إلى ميادين العمل كافة. كما أنه لا بد من خلق فرق عمل مختصة في مجال رصد تبلور المواطنة كهدف أساسي ورؤية استراتيجية تعمل عليها تلك الفرق في سبيل تحقيق الهدف الأسمى وهو بناء الانسان الباني لوطنه والمحافظ على أرضه، متحملاً بذلك مسؤولية على عاتقه طوال حياته، ومسلاً تلك الأمانة للأجيال القادمة. ولعل نقطة الانطلاق هي بالتعليم الجيد والمقرون بالكثير من الاستراتيجيات التفاعلية.

قائمة المصادر والمراجع:

➤ المراجع العربية:

- سليم، مريم(2001)، أدب الطفل وثقافته، ط1، بيروت، دار النهضة العربية.
- صموئيل، نبيل؛ عياد، هاني(2008)، المواطنة التحديات والطموحات في الدولة الحديثة، ط1، القاهرة، المكتبة الأكاديمية.
- د. عامر، طارق عبدالرؤوف(2013)، التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، ط1، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- أ.د. فريحة، نمر منصور (2017)، المواطنة العالمية والمواطنة الرقمية، وما بينهما، ط1، بيروت، دار سائر المشرق.
- فوزي، سامح(2007)، المواطنة، ط1، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان.

➤ الدوريات الورقية:

- د. محمد، عبير مختار شاكرا (2012)، التعليم عن بعد والتفاعل الاجتماعي، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد 24، الجزء 2.

➤ الرسائل والأطاريح:

- الأحمري، سعدية(2015)، التعليم الالكتروني، (رسالة ماجستير).

➤ المواقع الالكترونية:

- سعد، يحيى، المنهج التحليلي، تم الاسترجاع (2020/12/25، 6 ب.ظ.) من: <https://drasah.com/Description.aspx?id=3656&url> ، شركة دراسة للاستشارات والدراسات والترجمة.

